

دراسات في الشرق الأوسط

فصل في بحوث في الشرق الأوسط



الْعَبْدُ الْعَبَّاسِيُّ الْمُقَدِّسِيُّ

الرقم الدولي ISSN: 2409-1928 السنة الثانية - العدد ٥ - صيف ٢٠١٥ م / ١٤٣٧ هـ

❖ المستشرق البريطاني (مونتجومري وات) وكتابه

(محمد في مكتة) أ.د. حسن الحكيم

❖ المستشركة الألمانية أنا ماري شيمل وكتابها (وأن محمد ا

رسول الله) أ.د. حامد ناصر الظالمي

❖ الرسول الكريم ﷺ في كتابات المستشرقين

(الاستشراق البريطاني أنموذجاً)

م.م. عصام فخري برتو

❖ غدير خم في البحوث الغربية المدونة باللغة الانجليزية

محمد مقداد اميري

❖ الانزياح و التكرار في ملحمة الحسين (عليه السلام) (ريمون قسيس)

أ.م.د. علي أصغرياري / علي محمد رضايي

❖ الصحابي سلمان المحمدي في كتابات المستشرق ماسينيون

د. ياسين حسين الويسي

❖ دور المستشرق الباجيكي (آرمن أبل) في دعم وتطوير

الدراسات الاستشراقية حول الاسلام وحضارته بباجيكا

د. عبد الواحد جهداني

❖ الفلسفة الايرانية - الاسلامية من منظور المفكر

الفرنسي "آرثر دو غوبينو"

أ.د. كريم مجتهد

المركز الاسلامي للدراسات الاستراتيجية

يعنى بالاستراتيجية الدينية و المعرفية

دراسات في الشرق الأوسط

الانزياح والتكرار في ملحمة الحسين عليه السلام (ريمون قسيس) دراسة أسلوبية

دراسات استشرائية / العدد الخامس / صيف ٢٠١٥

- أ.م.د. علي أصغرياري^(*)
- علي محمد رضايي^(**)

التمهيد

لقد شغل الأسلوب و الدراسات الأسلوبية في عصرنا الراهن حيزا كبيرا من الدراسات النقدية خاصة في مجال الشعر. وردت تحت كلمة «الأسلوب» تعاريف عديدة حيث أصبح من الصعب تحديدها، نشير إلى أهمها فيما يأتي:

قال بير جيرو في كتابه «أسلوبية»: الأسلوب - من كلمة *Stilus*، أي مثقب يستخدم في الكتابة - هو طريقة في الكتابة وهو استخدام الكاتب لأدوات تعبيرية من أجل غايات أدبية ويتميز في النتيجة من القواعد التي تحدّد معنى الأشكال وصوابها^(١).

(*) جامعة الشهيد باهنر، كرمان، إيران - كلية الآداب والعلوم الإنسانية، طالب الدكتوراه في قسم اللغة العربية وآدابها.

(**) جامعة الإمام الرضا الدولية، مشهد، إيران.

وكذلك قال محمد عبدالله جبر: «علم الأسلوب فرع من فروع الدرس اللغوي الحديث يهتم ببيان الخصائص التي تميز كتابات أديب ما، أو تميز نوعاً من الأنواع الأدبية بما يشيع في هذه أو تلك من صيغ صرفية مخصوصة، أو أنواع معينة من الجمل والتراكيب، أو مفردات يؤثرها صاحب النص الأدبي»^(٢).

ما توصل إليه الدكتور صلاح فضل في كتابه علم الأسلوب من خلال التعاريف العديدة أن الأسلوب هو اختيار الكاتب أو الشاعر لتركيبات خاصة أو جمل معينة أو مفردات دون سواها مما يكشف عن مزاجه ورؤيته وأسلوب تفكيره^(٣).

يُنَى هذا المقال على المنهج الوصفي التحليلي لتقديم معالم ظاهري الانزياح والتكرار في ملحمة الحسين عليه السلام ودورها في إغنائها.

أهمية التحليل الأسلوبي من جانب وأهمية تحليل ملحمة الحسين عليه السلام للشاعر المسيحي «ريمون قسيس» حثنا على دراسة الظواهر الأسلوبية في هذه القصيدة.

هناك ظواهر أسلوبية عديدة عُني بها الباحثون في دراساتهم الأسلوبية ويهدف هذا البحث إلى دراسة ظاهرة التكرار لما له من شأن في التأكيد، سواء يكون في اللفظ أو الحروف أو التكرار في المعاني المقصودة من قبل الأديب المُبدع. كما أنّ ظاهرة الحذف من الظواهر التي تتجلى في كثير من المواقف اللغوية، وهذه الظاهرة تنطوي تحت ما يسمى بالانزياح التركيبي. تقديم ما يجب تأخيرها في الكلام نحو: تقديم الخبر على المبتدأ أو تقديم المفعول على الفعل والفاعل توّضع أيضاً تحت الانزياح التركيبي. ويوجد هناك انزياح آخر إلى جانب هذا الانزياح هو الانزياح التصويري الذي تنطوي تحته الاستعارة والكناية والتشبيه وتلك من أحسن الصور البيانية التي يستخدمها الشاعر. ولكن في هذه الدراسة ركّزنا على الاستعارة فقط لأن دراسة الكناية والتشبيه تتطلب بحثاً سويّاً.

بما أن هذا المقال يسلّط الضوء على الظواهر الأسلوبية والكشف عنها في ظاهري التكرار والانزياح فلهذا نحاول أن نجيب عن سؤالين أساسيين:

١. ما هي أهم ميزات التكرار المستخدم في ملحمة الحسين عليه السلام؟

٢. ما هي ميزات الانزياح وأشكاله في هذه القصيدة؟

رأينا في سوابق البحث رسالة الماجستير لـ «أقدس بهزادي بور» المعنونة بـ «النبي صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام في مرآة أدب المسيحيين المعاصرين» تتطرق الباحثة من خلالها إلى ملحمة الحسين عليه السلام ودراساتها لريمون قسيس من دون أية إشارة إلى الجوانب الأسلوبية. أما مقالنا هذا فيسلط الضوء على الظواهر الأسلوبية لهذه القصيدة وتحديداً ظاهرتي الانزياح والتكرار.

ريمون قسيس في سطور:

ريمون قسيس هو شاعر لبناني من مواليد زحلة. تلقى علومه في الكلية الشرقية وأتم دراسته الثانوية فيها. ثم دخل جامعة «القدس يوسف» وحصل على شهادة الدكتوراه. كان مولعاً بالشعر منذ نعومة أظفاره وأصبح من أشهر الشعراء في لبنان وهو لم يمه العقد الثاني من عمره. لقسيس أشعار شتى بالعربية والفرنسية تتضمن الموضوعات التاريخية والاجتماعية وكثيراً من الغزل^(٤) طبع شعره بالطابع الرمزي الروماني. له أمسيات ولقاءات ومهرجانات شعرية شارك فيها، كما له مقابلات وحلقات إذاعية وندوات ومؤتمرات عبر «حركة الحوار والثقافة في لبنان» ومؤسسها ورئيسها د. مصطفى دندشلي. له مؤلفات عديدة منها: علي عليه السلام الفارس الفقيه، الحكيم في الشعر (١٩٩١م)، قصائد أولى باللغة الفرنسية (١٩٩٧م)، أوراق شاعر في النثر (٢٠٠٤م)، منائر (الشعر) (٢٠٠٥م)، ملحمة الحسين عليه السلام (الشعر) (٢٠١٠م) (قسيس، ٢٠١١م: ٤٥).

عرض الموضوع:

٣-١- الانزياح:

للانزياح معنيان: الأول لغوي والثاني اصطلاحى، بالنسبة إلى المعنى اللغوي

كتب ابن منظور معرّفًا الانزياح: «نزع الشيء ينزع منع وضرب نَزْحًا ونُزوحًا بَعْدَ وشيءٍ نُزْحٌ ونُزُوحٌ نازح ونَزَحَت الدارُ فهي تَنْزِحُ نُزُوحًا إِذَا بَعُدَتْ وجاءَ من بلدٍ نَزِيحٍ أي بعيدٍ»^(٥).

أمّا بالنسبة إلى المعنى الاصطلاحي فيشرح عبدالسلام المسدي في كتابه الأسلوبية والأسلوب: «مصطلح (Ecart) عسير الترجمة لأنه غير مستقرّ في تصوّره لذلك لم يرض به كثير من رواد اللسانيات والأسلوبية فوضعوا مصطلحات بديلة عنه. قد يمكن أن نصطلح عليه بعبارة التجاوز، أو أن نُحيي له لفظةً عربيةً استعملها البلاغيون في سياق محدّد وهي عبارة "العُدُول": وعن طريقة التوليد المعنويّ قد نصطلح بها على مفهوم العبارة الأجنبية»^(٦).

وقد أكسب مفهوم الانزياح الأسلوبية ثراءً في التحليل إذ تتعامل المقاييس الاختيارية والتوزيعية على مبدئه فتكاثف السمات الأسلوبية، وفي ضوئه يمكن إعادة وصف كثير من التحليلات البلاغية العربية»^(٧).

٣ - ٢ - الانزياح الدلالي (التصويري):

تقيم البلاغة والأسلوبية، منذ زمن، علاقات وطيدة تتقلّص الأسلوبية أحياناً حتى لا تعدو أن تكون جزءاً من نموذج التواصل البلاغي»^(٨). الانزياح الدلالي أو الانزياح الذي يرتبط بالبلاغة عادةً ما يحوكة الكاتب من خلال كسر القاعدة المتعارف عليها والمألوفة إلى ما هو غريب ومدهش وبعيد عن المعهود والمتداول وذلك عبر لصق الأشياء بصفات ليست لها في واقع الحال كما يقوم المبدع بكسر ما تألفه الأذن واعتادت على سماعه فيشكل بذلك خرقاً لأفق التوقع وهذا هو غرض الانزياح الدلالي.

٣ - ٢ - ١ - الاستعارة: يتم التركيز على دراسة الاستعارة في هذا القسم فهي

«في اصطلاح البيانين: استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة بين المعنى

المنقول عنه والمعنى المستعمل فيه مع قرينة صارفة عن إرادة المعنى الأصلي»^(٩).

نلاحظ في هذا المجال أن الشاعر يقوم بتوظيف صفات غير معهودة إلى الإمام الحسين عليه السلام. فبعد بحثنا في هذا المضمار سيتبين لنا كيف أن الشاعر قد أحاط الإمام الحسين عليه السلام بهالة من الصفات المضيئة العائدة لأشياء راكنة في الطبيعة. ونسوق مثالاً على ذلك هو التالي:

قمرٌ في التراب وهو دفينٌ

قد دحرت الزمان يُدجي ويُغسي

ماله في العطاء روضٌ مثيلٌ كل روضٍ يهفو إليه ويسر

وسماءً بكت، فيحيي بكته و«حسين» بكته في قطع رأس^(١٠).

من أهم خصائص الاستعارة تجسيد المعنويات، وتشخيص المجردات، وخلع الحياة على ما لا حياة فيه، ومنها المبالغة في تأكيد المعنى وتفخيمه، وحسن البيان وتحريك المشاعر وتنبيه العقول ونلاحظ معالم هذه الخصائص في الاستعارات الموظفة من قبل الشاعر^(١١). نشاهد من خلال هذه الأبيات أن التشخيص هو العنصر الأبرز في تشكيل صورته الاستعارية، خاصة فيما يتعلق بوصف الإمام الحسين عليه السلام وهذه الأبيات الشعرية تركز بشكل صارخ على صفات جمالية وخارقة للعادة كمثال ضياء الشمس، ونور القمر والنجوم وذلك بغية إكمال مشهدية واضحة أراد الشاعر أن يوصلها لقراءه ألا وهي أن ثورة الإمام الحسين عليه السلام ليست محدودة بزمانها ومكانها بل تخطت أجيال لتكوّن مدرسة للإنسانية.

٣-٢-٢- التشبيه:

جدير بالذكر أن الشاعر استخدم التشبيهات الحسية وكذلك قريبة من الذهن لنيل مقصوده وهو الصورة التي يريد رسمها لثورة كربلاء.

التشبيه هو أبرز أنواع التصوير اطرادًا في كلام البشر عامة، المسموع والمقروء على حدّ السواء وما هذا بغريب. ولم يحرم التشبيه منشور ولا منظوم من الكلام فلا تكاد تخلو منه فقرة من الفقرات لا قطعة من الأبيات^(١٢).

في هذه القصيدة نلاحظ التشبيه خاصة التشبيه البليغ، وهو الذي حُذف منه أداة التشبيه ووجه الشبه، فلم يبق منه سوى المشبّه والمشبّه به فهذا أقوى أنواع التشبيه وأبلغها^(١٣) نذكر النماذج الآتية:

أنت نوري المضيء يضيحي ويُمسي
هو روضي الأريض نفاح عطير فيه ينمو زكيّ نبتٍ وغرسٍ
هو نورٌ بدا يضيء كشمسٍ
و«حسين» أبو الأئمة يمشي في الوري فرقدًا بلا أيّ طمسٍ
هو نورٌ وحجةٌ واقتدارٌ^(١٤).

اللافت للنظر فيما سبق من التشبيهات أن الشاعر شبّه الإمام الحسين عليه السلام بالنور وخاصة النور الهداية. وقد جاء التشبيه وأفاد المبالغة التي هي من أعظم مقاصده، ولهذا لا تكاد تجد تشبيهًا خاليًا عن هذا القصد، وكلّما كان الإغراق في التشبيه، والإبعاد فيه، كذلك صعب الوقوع والحصول، كان أدخل في البلاغة وأوقع فيها وتأتي على أثر هذه المبالغة تزيين المشبّه في الأبيات السابق ذكرها^(١٥).

٣-٣- الانزياح التركيبي:

«ربّما تبادر إلى الذهن أن المتغيّرات النحوية تتركّز في الحذف ومخالفة الترتيب، ولكن هناك غيرهما من الأنماط النحوية ما يكون في استعماله سمة أسلوبية»^(١٦) ولكن ما بصده نحن في هذا المقال يبرز في هاتين الظاهرتين، يعني الحذف وتقديم ما يجب تأخيرها.

٣ - ٣ - ١ - الحذف: أول ظاهرة من ظاهرتي الانزياح التركيبي في هذه القصيدة هي الحذف وهو أن يتم حذف أحد أجزاء الجملة، سواء كان مبتدأً أو خبراً، فاعلاً أو مفعولاً و... .

«ومّا اعتيد فيه أن يجيء خبراً قد بُني على مبتدأٍ محذوف، قولهم بعد أن يذكروا الرجل: «فتى من / صفته كذا»، و«أغرُّ من صفته كيت وكيت»^(١٧) وقال أحمد درويش في سر جمال هذا اللون، «هو أنّنا حين نحذف المبتدأ من العبارة، إنما ندعي أن ذلك المبتدأ حي في ذهن المخاطب، ومعلوم، ولسنا بحاجة إلى أن نورده مرة أخرى وإنّا يكفي أن ننطق بالصفة التي نريد إسنادها له على جهة الخبرية، حيث نجدّها تتجه إليه وتلتصق به»^(١٨) وتجيء الأبيات الآتية لريمون قسيس على هذا النمط:

قمرٌ في التراب وهو دفينٌ / أشرفُ السبطِ طيّبٌ وزكيٌّ / جراً في شجاعةٍ،
جودٌ كفٌّ / خيرٌ أهل الأرض التي أنجبتهم / هيبَةٌ قل، حلمٌ وعلمٌ جليٌّ / نجدةٌ
للرسول ليست تضاهي^(١٩).

نرى في الأبيات السابقة الذكر حذف الشاعر المبتدأ من أول كل الأبيات بقرينة حضورها في ذهن المخاطب وللغرض الذي أشرنا إليه.

٣ - ٢ - التقديم والتأخير:

قال الجرجاني في التقديم والتأخير: «هو بابٌ كثير الفوائد، جَمَّ المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يَفْتَرُّ لك عن بديعة، ويُفْضِي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعراً يروقك مسمعه، ويلطّف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطّف عندك، أن قُدِّم فيه شيء، وحُوِّل اللفظ عن مكانٍ إلى مكانٍ»^(٢٠).

لعل تقديم ما يجب تأخيره في هذه القصيدة هو الأكثر بروزاً في أبياتها الشعرية بما يُظهر تسلسل الاهتمام الفكري لدى الشاعر وتقديمه لحالة معيّنة على ما عداها. فضلاً عن ما تُغنيه من الأبعاد اللغوية والجمالية وحتى الإيقاعية. وكذلك قال «محمد



عبدالمطلب» في كتابه البلاغة والأسلوبية: أما مباحث التقديم والتأخير فتُمثل -في علم المعاني- أهمية خاصة، من خلال التركيب الذي يخضع بالضرورة لطابع اللغة ونمطها المألوف في ترتيب أجزاء الجملة، من حيث كان العدول عن هذا النمط بمثابة منبهات فنية يعمد إليها المبدع ليخلق صورة فنية متميزة^(٢١).

ولقد عشتَ للرماح العوالي في سبيل الإله يفدى بنفسٍ ص ٢٤

يا مؤاخي رسالة العرب طراً بك تحمى من ظلم كيدٍ وحلسٍ ص ٢٥

هو مني - قد قالها - أنه منه وحسينا سمّوه من غير لبسٍ ص ٢٥

هو روضي الأريض نفّاح عطر فيه ينمو زكيّ نبت وغرس ص ٢٥

وسماءٍ بكت فيحيى بكته وحسينٌ بكته في قطع رأسٍ ص ٢٨

في رثاء الحسين دعبلاً أبكى كل حاجٍ وكل راكبٍ عنسٍ ص ٣٠

وبسخطٍ يزيد يُرغي انتقاماً ولأمرٍ فيه بدايةٌ حلسٍ ص ٣٤

لقد ذكر النحويون والبلاغيون أسباباً عديدة للتقديم منها: التخصيص والاهتمام وتقوية الحكم والتأكيد...^(٢٢) ومن هذه الأسباب نشاهد في الأبيات السابق ذكرها مثلاً لإظهار إرادة الشاعر في تسليط الأضواء على ما قدّمه. فالتقديم في هذه الأبيات قد يكون في تقديم الجار والمجرور على عامله، وقد يكون في تقديم المفعول به على الفعل والفاعل، سواء كان الغرض تخصيص المقدم أو الاهتمام به، فضلاً عن الجمالية والإيقاع الذي خلقه الشاعر بأسلوبه هذا. وهذا الأمر من براعة الشاعر المبدع التي تميّزه من الشاعر المبتدئ.

٤ - تكرار:

تقول نازك الملائكة: «جاءتنا الفترة التي أعقبت الحرب العالمية الثانية بتطور ملحوظ في أساليب التعبير الشعري، وكان التكرار من هذه الأساليب فبرز بروزاً

يلفت النظر، وراح شعرنا المعاصر يتكئ إليها اتكاءً يبلغ أحياناً حدوداً متطرفة لا تنم عن اتزان»^(٢٣).

دراسة ظاهرة التكرار في هذه القصيدة تشتمل على ثلاثة مستويات بما فيها التكرار الصوتي، والتكرار اللفظي، وأخيراً تكرار المعنى.

٤ - ١ - التكرار الصوتي (تكرار الأصوات)

هو من أنواع التكرار المنتشرة والشائعة في الشعر والنثر ويتجسد «عبر تكرار حرف يهيمن صوتياً في بنية المقطع أو القصيدة»^(٢٤).

لقد تكرر بعض الأصوات في قصيدة «ريمون قسيس» بشكل منظم أو ما يسميه النقاد المعاصرون «harmonic» مما أدى إلى انسجام بالنغم والصوت والإيقاع فتلذذ الأذن بسماحها حتى من دون أن تفهم المعنى، ويتنشر هذا الأسلوب الإبداعي في كثير من أبيات الملحمة، نجملها كالتالي:

يا حسين الفداء تفديك نفسي / وعليّ ونهجه متسامٍ متغاوٍ بمجدٍ قولٍ
وُترسٍ / يا لرامٍ رماه رمية نحسٍ / ما دروا أنّك الحقيقة تبقى قد دحرت الزمان يدجي
ويُعسي / هو منّي - قد قالها - أنا منه و«حسيناً» سمّوه من غير بُسٍ / هو هديّ من
الإله تبدّى لحفيد فواذه في تقسى / لو على كرهٍ جاءها، هي دنيا لم تسعّه، ولم تُبالِ
بُضرسٍ / وأنا منهم بغيتي حرف «سين» في متينٍ وحبكٍ شِعْرٍ ومُرسٍ / جدّه قالها
ويا رَبِّ قولٍ قيل فيه جمالٍ جهرٍ وهَمْسٍ / جُرأة في شجاعةٍ، جُودٌ كفّ لا يُجارى،
ونَبْعٌ فهُمٍ ونَدَسٍ / وإذا مِ اللّثامِ جَحْفُلُ جيشٍ وإذا «جوشن» يَجيشُ بِنَجَسٍ / وإذا
«خولي» ذاك قد حَزَّ رأساً في مِسا جمعة فيا قَسَوِ حَرَسٍ / «زينب» أنتِ أختي خيرٌ أختٍ
لَطَمْتِ وجْهها وصاحت: لَتَعسي / سَمِعْتَ عَبْسٍ وَهي تبكي عليه وبُكَيٍّ دام بين
عَنَسٍ وَعَبَسٍ /

ونرى هنا عبر هذه الأبيات أن الشاعر لا يركّز على «ما يقول» فقط، إنّما يركّز

على «كيف يقول». وفي بعض هذه الأبيات مثل «وإذا مِ اللثامِ جَحْفَلُ جَيْشٍ وإذا
«جَوْشَنُ» يَجِيشُ بِنَجَسٍ» يتّضح هذا الأمر أكثر فأكثر؛ لأنّ ترتيب هذه الأحرف
على هذه الصورة لم يأت مصادفة كما هو واضح، إذ إن الصنعة بادية ظاهرة. وما كان
ذلك إلا لأن الشاعر يطلب التأثير الجمالي ويتوخّاه عبر إنتاجه للبيت.

٤ - ٢ - التكرار اللفظي:

يعدّ التكرار اللفظي نمطاً من الأنماط التي اعتمدها الشعراء ولم ينسّه شاعر
مبدع مثل ريمون قسيس: «وهو تكرار كلمة تستغرق المقطع أو القصيدة»^(٢٥).
ينضوي تحت هذا القسم من البحث بُعدان من التكرار بما فيها من تكرار المفردات،
وتكرار الصفات المتتالية، اللذان يقعان في بيت واحد أو مقطع من القصيدة.

٤-٢-١ - تكرار المفردات: هذا النوع من التكرار يوجد في ملحمة الحسين عليه السلام
بطريقتين: الأولى منهما أن الشاعر يوظّف الكلمة المكرّرة نفسها، والثاني استخدام
الصفات المتتالية في عبارة واحدة وستتطرق على كل واحد منهما كما يأتي:

هو مَنّي - قد قالها - أنا منه و«حسيناً» سمّوه من غير لبس
هو سبط مطهر كعلي هاشمي وأمره لا لرجس
هو روضي الأريض نفّاح عطر فيه ينمو زكي نبت وغرس^(٢٦)

هذه الأبيات الثلاثة المتتالية بهذا الشكل المقدم رسمت بداية رنة محببة على أذن
سامعها فضلاً عن تجسيدها لرغبة الشاعر الجامحة في التركيز على شخص الإمام
الحسين عليه السلام بوصفها قيمة قائمة بذاتها. وذلك من خلال ضمير «هو» الذي يتكرر في
كل الأبيات الثلاثة وما يعود هذا الضمير إلى الإمام الحسين عليه السلام «والقاعدة الأولى
في التكرار، أن اللفظ المكرر ينبغي أن يكون وثيق الارتباط بالمعنى العام، وإلا كان
لفظية متكلفة لا سبيل إلى قبولها. كما أنه لابد من أن يخضع لكل ما يخضع له الشعر
عموماً من قواعد ذوقية وجمالية وبيانية. فليس من المقبول مثلاً، أن يكرر الشاعر لفظاً

ضعيف الارتباط بها حوله، أو لفظاً ينفر منه السمع»^(٢٧).

وهكذا قال الشاعر في الأحرف التي كوّنت اسم «الحسين»:

هي «حاء» حياة جيلٍ لجيلٍ وهي «سين» و«السين» ثالثُ «نفس»
هي «ياء» و«الياء» يحیی احتواها مرتین اثنتين من خيرِ جرسٍ
هي «نون» و«سورة» ذكرُ «نون» ذكُرُ ربِّ لصاحبِ الحوتِ يُمسي^(٢٨)

«ولعل أبسط ألوان التكرار، تكرار كلمة واحدة في أول كل بيت من مجموعة أبيات متتالية في قصيدة، وهو لون شائع في شعرنا المعاصر، ولا ترتفع ناهج هذا اللون من التكرار إلى مرتبة الأصالة والجمال إلا على يدي شاعر موهوب يدرك أن المعول في مثله، لا على التكرار نفسه، وإنما على ما بعد الكلمة المكررة»^(٢٩).

ومن المؤكد أن قسّيساً يلحظ في تكرار هذه الكلمات في أول بعض الأبيات أن يثير الحماسة في صدور القراء وخاصة أن هذه الملحمة تتعلّق بشخصية تُعرف بين الناس في أنحاء العالم بالشجاعة والتضحية ويشبه الشاعر في تكراره هذه الكلمات شيئاً رئيساً عند إلقائه للخطاب مكرّراً بعض الكلمات، وفي المقابل ردّة الجمهور بالتصفيق والتهليل.

٤ - ٢ - ٢ - تكرار الصفات المتتالية: يقول عدنان حسين قاسم في التكرار: «إنّه بتشكيلاته المختلفة ثمرة من ثمرات قانون الاختيار والتأليف، ومن حيث توزيع الكلمات وترتيبها بحيث تقيم تلك الأنساق المتكررة علاقات مع عناصر النص الأخرى»^(٣٠).

بناءً على هذا الاختيار والتأليف حرص الشاعر «قسّيس» أثناء تدوينه للمدح الحسيني على رسم لوحة جمالية تتجسّد عبر ظاهرة الانسياب في النعوت ذات الرنة اللفظية المتقاربة. وما كان على هذه اللوحة إلا إظهار تفخيم الشاعر لمرتبة الإمام الحسين عليه السلام في نغم موسيقيّ جميل:

دراسات استشرائية / العدد الخامس / صيف ٢٠١٥ م

هو سبط مطهر كعلي، هاشمي أمره، لا لرجس / هو روضي الأريض نفاح
عطر، فيه ينمو زكي نبت وعرس / أشرف السبط طيب وزكي، بالغ أمري، لا يفارق
حسي / وشجاع، شهيم، أبي، حبيب، وسيأتي يوم يصاب بفرس / جئت أروي مسيرة
«الحسين» أتملاها نور وحي وقبس وسراجا مزهوها ووضيئا ولئن كانت الجسوم
لحس / جراءة في شجاعة، جود كف لا يجارى، ونبع فهم وندس / فهو قل: في السماء
أكبر شأنًا، نور هدي وطيب عرف وأنس / ضد من يهدي، يرتضى لإله، سمح كف،
نبلاً، شهامة مرس / هبة قل، حلم وعلم جلي في مضاء وفي شدائد محس / نجدة
للرسول ليست تضاهي، أريحي، نجيد جري وعرس / هو نور وحجة واقتدار، وشبيه
الرسول ليس بخنس / وشريف، هني خلق، صبور هو أقوى من شرب خمر
بقلس (٣١).

حينما نرى هذه الصفات المتتالية نتذكر — من حيث الأسلوب — هذا الشطر
للشاعر الجاهلي امرؤ القيس «مكرٌ مفرٌ مقبلٌ مُدبرٌ معاً» (٣٢) حيث يصف فرسه ولكن
التشابه من حيث أسلوب الشاعرين في تكرار الصفات وتتابعها.

قمنا في هذا القسم بإحصاء الصفات الحسينية التي وردت في ملحمة
الحسين عليه السلام لنرى نسبة تواتر كل واحدة من هذه الصفات. «السمات اللغوية حين
تغطي بنسبة عالية من التكرار، وحين ترتبط بسياقات معينة على نحو له دلالاته
تصبح خواصاً أسلوبية تظهر في النصوص بنسبة وكثافة وتوزيعات مختلفة. وهذا يبرر
أهمية القياس الكمي بوصفه معياراً موضوعياً منضبطاً وقادراً على تشخيص النزعات
السائدة في نص معين أو عند كاتب معين. ويطلق على هذا النوع من الدراسة
مصطلح علم الأسلوب الإحصائي statistic stylistics (٣٣). ومن معالم هذا
التكرار في الملحمة يمكننا أن نشير إلى الصفات الخاصة بالإمام الحسين عليه السلام التي
وظفها الشاعر، وبذلك لا نقصد أن نعد للإمام صفات محدودة لأن في هذا ظلماً كبيراً،
إنما نريد أن نشير إلى تلك الموظفة في القصيدة أولاً وكيفية تكرارها ثانياً لتتوصل إلى
النسبة المئوية لتلك الصفات:

جدول رقم ١ : إحصاء الصفات الحسينية

التضحية	يا حسين الفداء / في سبيل الإله يُفدى بنفسه /	مرتين (٩ بالمئة)
الشجاعة	ليس يُرضي الجهاد إلا كمي / وشجاع، شهيم، أبي، حبيب / شهر السيف لا يهاب الأعادي / جرأة في شجاعة / وكمي على الشكيمة باق / هو نور وحجة واقتدار /	٦ مرات (٢٧ بالمئة)
جود	ما له في العطاء روض مثيل / جود كفا / سمح كفا، نبلا /	٣ مرات (١٢ بالمئة)
نور	أنت نوري المضيء / قمر في التراب / هو نور بدا يضيء كشمس / نور هدي وطيب عرف وأنس / في الوري فرقدا بلا أي طمس / أفهل يظني نور بدر وشمس؟ / يا هلالا لما استتم كمالا / هو نور وحجة واقتدار /	٨ مرات (٣٧ بالمئة)
طهارة	هو سبط مطهر كعل /	مرة واحدة (٥ بالمئة)
خلود	ما دروا أنك الحقيقة تبقى / هو (يوم عاشوراء) عرس الدماء أخلد عرس /	مرتين (٩ بالمئة)

دراسات استشرافية / العدد الخامس / صيف ٢٠١٥ م

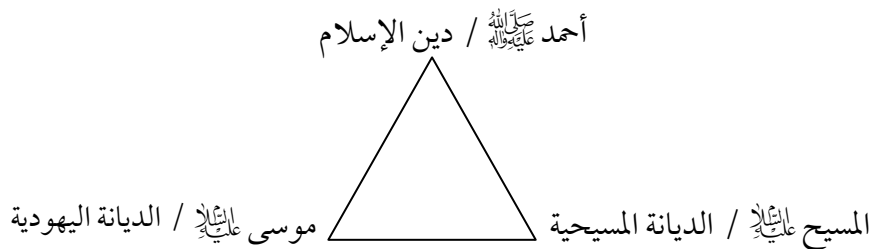
«وعندما يتصور الأسلوب على أنه محصلة معدلات تكرار الوحدات اللغوية القابل للتحديد الشكلي في صياغة النص فإن هذه الوحدات يمكن بطبيعة الحال إحصاؤها وإخضاعها لعمليات رياضية دقيقة ويتجه كثير من الدراسات الأسلوبية إلى تحليل العلاقة بين المفردات ومعدلات تكرارها»^(٣٤).

وبعد معالجة في الصفات الخاصة بالإمام الحسين عليه السلام في ملحمة ريمون قسيس يبدو أن صفة النور تقع في المكان الأول بالنسبة إلى الصفات الأخرى والشجاعة هي ثانية الصفات توظيفاً في الملحمة، وهاتان الصفتان هما أكثر من الصفات الأخرى بعدة أضعاف.

٤ - ٣- تكرار المعنى: إذا دققنا النظر في هذه القصيدة متأملين فنجد الشاعر يكرر معنى خاصاً عدة مرات في ملحمة كما يشير إلى هذا الموضوع في مطلع القصيدة. وما هو إلا تقارب الأديان الإبراهيمية الثلاثة. يقول الشاعر في هذا الموضوع:

قد دعا موسى والمسيح تجلّى وأتى أحمدُ لربِّ بِخَمْسٍ^(٣٥)

الشاعر هنا ذكر موسى كليم الله، ثم المسيح عليه السلام ثم أتى النبي محمد صلى الله عليه وآله وفرض الصلوات الخمسة وجمع الشاعر هذه الأديان الثلاثة أي الدين اليهودي والدين المسيحي والإسلام وكون مثلث الاتحاد بين الأديان الإبراهيمية الثلاثة كما يبدو على الشكل الآتي:

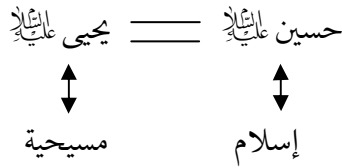


وأشار في موضع آخر إلى هذه الأديان الثلاثة من خلال الرموز ولا تكون الرموز إلا أشخاصاً من هذه الديانات الذين كانوا حاضرين في مأساة كربلاء، إليكم نموذج من هذه الوحدة:

يا «لَوْهَبٍ» كم في الجوامع يُتلى إِسْمُ «وَهَبٍ» وفي محافل كُنُسٍ
هو قَسٌّ من النصارى شهيدٌ وحسَيْنٌ غدا فخوراً بقَسٍّ
ذاك حَبْرٌ من اليهود تبدَّى أقتلوني ولو عُرِفْتُ بِنَطَسٍ (٣٦)

أو في المقارنة بين شخصية إسلامية (الإمام الحسين) وشخصية مسيحية (يحيى) عليه السلام:

وسماءً بكَتْ، «فِيحَيٍّ» بَكَتْهُ و«حَسَيْنٌ» بَكَتْهُ في قَطْعِ رَأْسٍ (٣٧)



على سبيل الإيذان بالله ريمون قسيس بوصفه مسيحياً يرى في يوحنا المعمدان (يحيى) الذي عمّد المسيح وجاء مبشّراً به وأصبحت النتيجة أنه قُطِعَ رأسه في الدين المسيحي كما قُطِعَ رأس الإمام الحسين عليه السلام في الدين الإسلامي وهما رمزان؛ النبي يحيى عليه السلام رمزٌ للديانة المسيحية والإمام الحسين عليه السلام رمزٌ للديانة الإسلامية وهذه الملحمة تُعدّ من أروع القصائد في العلاقات الأخوية وتمتين التواصل المسيحي الإسلامي.

أشار الشاعر كذلك إلى التشابه بين الإمام الحسين والنبي يحيى عليه السلام في موضع آخر:

هي «يَاءٌ» و«الياءُ» «يحيى» احتواها مرّتين اثنتين من خَيْرِ جِرْسٍ (٣٨)

وهكذا لاحظنا أن الشاعر أورد مرات عدّة نماذج أوماً من خلالها إلى قضية

الأخوة بين الأديان الإبراهيمية، فلا نستغرب من شاعر كـ«ريمون قسيس» أن يكثر بتقريب الأديان الإبراهيمية إذ إنه من المسيحيين المثقفين الذين يعتقدون أن هذه الأديان الثلاثة تأتي كل واحد منها مكتملاً ومؤيداً للآخرين.

النتيجة:

بالنسبة إلى ظاهرة الانزياح الدلالي في القصيدة نلاحظ الشاعر موظفاً الصفات الخاصة بالإمام الحسين عليه السلام وكذلك غير معهودة منها ولجأ الشاعر إلى توظيف الاستعارة والتشبيه لإغناء أثره الشعري والتأثير في المتلقي. التشخيص من خلال الاستعارات الموظفة في القصيدة من جانب وتشبيه الإمام الحسين عليه السلام بالشمس، ونور القمر والنجوم من جانب آخر، لهما دلالة على هداية الإمام الحسين عليه السلام للأجيال المختلفة عبر العصور.

أما بالنسبة إلى الانزياح التركيبي وتحديدًا ظاهرة الحذف فالشاعر بحذف المسند إليه من بعض الأبيات خاصة تلك الأبيات التي أنشدها في وصف الإمام الحسين عليه السلام أراد أن يستغني عن ذكره، لأنه حي في ذهن المخاطب ولا داعي لذكره. كما قدم بعض أجزاء الجملة على البعض للدلالة على الاهتمام بالمقدم أو قصره وهذا الاهتمام والقصر في كثير من الأحيان يرتبط بالإمام الحسين عليه السلام.

يكرر الشاعر بعض الأحرف وبذلك يضيف على القصيدة روعة وجمالاً وهذا إضافة إلى الجانب المعنوي للعبارات وخاصة أن تكرار النغمات الصوتية قد يكون بشكل منظم و«harmonic».

تكرار بعض الألفاظ والكلمات وخاصة تلك التي تكون في أول الأبيات يدل على الإثبات والتأكيد وهذا ما يريد الشاعر أن يلقيه في ذهن المخاطب.

كرر الشاعر الصفات الخاصة بالإمام الحسين عليه السلام في هذه الملحمة، ويبدو أن هناك صفتين أكثر من الصفات الأخرى من ناحية التوظيف، ألا وهما «النور» و«الشجاعة».

هناك بعض المعاني المقصودة والمركزة عليها التي كرّرها الشاعر مرّات عدة عبر الرموز والعلامات في ملحّمته، ومن خير ذلك «العلاقة والتواصل بين الأديان الإبراهيمية الثلاثة».

ملخص البحث

بحث هذا المقال عن الظواهر الأسلوبية في قصيدة «ملحمة الحسين» للشاعر المسيحي ريمون قسيس. تتميّز هذه الملحمة بخصائص أسلوبية وتحديدًا ظهرت الانزياح، والتكرار.

بالنسبة إلى الانزياح في هذه الملحمة فهو يشمل على مستويين ألا وهما الانزياح الدلالي (التصويري) والانزياح التركيبي الذي يشمل على الانزياح في الحذف، والانزياح في التقديم والتأخير.

استعمال استعارات غير معهودة وتشبيهات غير مألوفة للإمام الحسين عليه السلام من معالم الانزياح الدلالي وتقديم ما يجب تأخيرهِ للدلالة على الاهتمام والقصر، وحذف المسند إليه في كثير من الأبيات لاستغناء عن ذكره، من خواص الانزياح التركيبي في هذه القصيدة.

أمّا بالنسبة إلى التكرار فهو ظاهرة لا يمكن الإغماض عنها في هذه القصيدة ومن أجل ذلك درسنا التكرار بكل أنواعه إذ توصلنا إلى أنّه يشمل على تكرار الأحرف الخاصّة بشكل منظمّ في بعض الأبيات، أو تكرار بعض الكلمات والصفات الخاصّة بالإمام الحسين عليه السلام حيث وصف الشاعر الإمام الحسين عليه السلام بصفات متتالية، أو تكرار المعاني التي تسيطر على هيكل القصيدة بشكل عام ومن ذلك الوحدة في الأديان الإبراهيمية الثلاثة التي يشير إليها الشاعر في بداية الملحمة.

الكلمات الرئيسية: ريمون قسيس، ملحمة الحسين عليه السلام، الأسلوبية، الانزياح،

التكرار.



* هوامش البحث *

١. الأسلوبية. ترجمة: منذر عياشي: ١٧.
٢. الأسلوب والنحو: ٦.
٣. علم الأسلوب: ٩٧.
٤. الإمام الحسين عليه السلام في الشعر المسيحي: ١٢٧.
٥. لسان العرب: ٦١٤.
٦. الأسلوبية والأسلوب: ١٦٢ و ١٦٣.
٧. نفسه: ١٦٤.
٨. البلاغة والأسلوبية، ترجمة: د. محمد العمري: ١٩.
٩. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: ٢٥٨.
١٠. ملحمة الحسين عليه السلام: ٢٤ و ٢٥ و ٢٨.
١١. علم البيان دراسة تحليلية لمسائل البيان: ٢٣١ - ٢٣٣.
١٢. خصائص الأسلوب في الشوقيات: ١٤٢.
١٣. علم البيان بين النظريات والأصول: ١٥٥.
١٤. ملحمة الحسين عليه السلام: ٢٣ و ٢٥ و ٢٨ و ٣٣ و ٤٠.
١٥. البيان العربي دراسة تاريخية فنية في أصول البلاغة العربية: ٢٦٣.
١٦. الأسلوب والنحو: ١٩.
١٧. دلائل الإعجاز: ١٤٩.
١٨. دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث: ١٧٢.
١٩. ملحمة الحسين عليه السلام: ٢٤ و ٢٥ و ٢٩ و ٤٠.
٢٠. دلائل الإعجاز: ١٠٦.
٢١. البلاغة والأسلوبية: ٢٧١ و ٢٧٢.
٢٢. دراسات في البلاغة العربية: ٧٢.
٢٣. قضايا الشعر المعاصر: ٢٧٠.
٢٤. حركية الإيقاع في الشعر العربي المعاصر: ٨٢.
٢٥. حركية الإيقاع في الشعر العربي المعاصر: ٨٢.
٢٦. ملحمة الحسين عليه السلام: ٢٥.
٢٧. قضايا الشعر المعاصر: ٢٣١.
٢٨. ملحمة الحسين عليه السلام: ٣٠.



٢٩. قضايا الشعر المعاصر: ٢٣١.
٣٠. الاتجاه الأسلوبي البنيوي في نقد الشعر العربي: ٢١.
٣١. ملحمة الحسين عليه السلام: ٢٥ و ٢٦ و ٢٧ و ٢٩ و ٣٠ و ٣٢ و ٤٠ و ٤٢.
٣٢. ديوان امرئ القيس: ١١٩.
٣٣. الأسلوب دراسة لغوية احصائية: ٣٤.
٣٤. علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته: ٢٦٦.
٣٥. ملحمة الحسين عليه السلام: ٢٣.
٣٦. المصدر نفسه: ٣٨.
٣٧. المصدر نفسه: ٢٨.
٣٨. المصدر نفسه: ٣٠.

* المصادر والمراجع *

١. ابن منظور. (١٩٩٧). لسان العرب. المجلد ١٠. الطبعة ٦. دار صادر. بيروت. لبنان.
٢. امرؤ القيس. (٢٠٠٤م). ديوان امرؤ القيس. الطبعة الخامسة. لبنان. بيروت: دار الكتب العلمية.
٣. بليت، هنريش. (١٩٩٩م). البلاغة والأسلوبية نحو نموذج سيميائي لتحليل النص. ترجمة: د. محمد العمري. لبنان، بيروت: أفريقيا الشرق.
٤. جبر، محمد عبدالله. (١٩٨٨م). الأسلوب والنحو دراسة تطبيقية في علاقة الخصائص الأسلوبية ببعض الظواهر النحوية. الطبعة الأولى. الاسكندرية: دار الدعوة.
٥. الجرجاني، عبد القادر. (د.ت). دلائل الإعجاز. تعليق: محمود محمد شاكر. القاهرة: مكتبة الخانجي.
٦. جيرو، بير. (١٩٩٤م). الأسلوبية. ترجمة: منذر عياشي. الطبعة الثانية. سوريا. حلب: دار الحاسوب للطباعة.
٧. الغرني، حسن. (٢٠٠٠م). حركية الإيقاع في الشعر العربي المعاصر، ط١، بيروت: الشركة العالمية للكتاب.
٨. درويش، أحمد. (د.ت). دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث. القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر.
٩. سقال، ديزيره. (١٩٩٧م). علم البيان بين النظريات والأصول. الطبعة الأولى. بيروت: دار الفكر العربي.

١٠. فضل، صلاح. (١٩٩٨م). علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته. الطبعة الأولى. القاهرة: دار الشروق.
١١. قسيس، ريمون. (٢٠١١م). ملحمة الحسين عليه السلام. بيروت: دار المحجة البيضاء.
١٢. زميزم، سعيد. (٢٠١٢م). الإمام الحسين عليه السلام في الشعر المسيحي. الطبعة الأولى. بيروت: دار الجوادين.
١٣. طبانة، بدوي. (١٩٥٨م). البيان العربي دراسة تاريخية فنية في أصول البلاغة العربية. الطبعة الثانية. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
١٤. الطرابلسي، محمد الهادي. (١٩٨١م). خصائص الأسلوب في الشوقيات. تونس: منشورات الجامعة التونسية.
١٥. عبد المطلب، محمد. (١٩٩٤م). البلاغة والأسلوبية. الطبعة الأولى. لبنان. بيروت: مكتبة لبنان ناشرون.
١٦. علام، عبد العاطي غريب. (١٩٩٧م). دراسات في البلاغة العربية. الطبعة الأولى. بنغازي: جامعة قاريونس.
١٧. فضل، صلاح. (١٩٩٨م). علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته. القاهرة: دار الشروق.
١٨. فيود، بسيوني عبدالفتاح. (١٩٩٨م). علم البيان دراسة تحليلية لمسائل البيان. ط ٢، القاهرة: مؤسسة المختار.
١٩. قاسم، عدنان حسين. (٢٠٠٠م). الاتجاه الأسلوبي البنيوي في نقد الشعر العربي، الدار العربية للنشر والتوزيع.
٢٠. المسدي، عبدالسلام. (١٩٨٢م). الأسلوبية والأسلوب. الطبعة الثالثة. الدار العربية للكتاب.
٢١. مصلوح، سعد. (١٩٩٢م). الأسلوب دراسة لغوية احصائية. الطبعة الثالثة. القاهرة: عالم الكتب.
٢٢. نازك الملائكة. (١٩٦٧م). قضايا الشعر المعاصر. ط ٤، بيروت، لبنان: دار العلم للملايين.
٢٣. الهاشمي، السيد أحمد. (د.ت). جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع. بيروت: المكتبة العصرية.

